كثيرة وأصاب الذين يحوطونه كثير من الجراحات وقتل من المسلمين نحو السبعين منهم حمزة بن عبد المطلب. وهذا الذى اصاب المسلمين سببه امران الاول مخالفة الرسول فيما أمر به الثانى اشتغالهم بأمر الغنائم قبل ان يتم لهم النصر

ثم ان اباسفيان صعد ونادى بأعلى صوته نعمت فعال ان الحرب سجال وموعدكم بدر العام المقبل ثم رجع المشركون الى مكة ولم يعرجوا الى المدينة . فلما عاد عليه السلام الى المدينة اصبح حذرا من عودة المشركين الى الهجوم على المدينة فنادى فى اصحابه بالخروج فاستجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح وكان خروجهم سببا لتخوف المشركين وامتناعهم عما كانوا صمموا عليه من تتميم انتصارهم بغزو المدينة

الدرس العاشر

وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير وسببها أنه كان بينهم وبين الرسول عهود فبينما رسول الله فى ديارهم يستنجزهم الوفاء بما توجبه تلك العهود اذ ائتمر جماعة منهم على اغتياله فأطلعه الله على قصدهم فعاد الى المدينة وتجهز

لقتالهم فحاصرهم ولما رأوا العجز طلبوا منه أن يكف عن دمائهم ويخرجوا من المدينة ففعل وفعلوا ونزل بعضهم بأرض خيبر وبعضهم بأذرعات ببلاد الشام

ولما أهل شعبان كان موعد أبي سفيان ببدر فخرج عليه السلام بأصحابه وفاء بالوعد ولكن أبا سفيان تخلف فكان موسم بدر في هذا العام للمسلمين خاصة

وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق وسببها أن قريشا جمعت جموعها وحلفاءها تريد غزو المدينة ثانية وكان عدة من خرج منهم عشرة آلاف ولما علم بذلك المسلمون أشار سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة يمنع المشركين من الهجوم عليها فحفروه فلما جاء هؤلاء الاحزاب لم يمكنهم عمل شيء الا المراماة بالنبل وحينئذ بلغ رسول الله أن بني قريظة قد نقضوا عهدهم في هذا الوقت الحرج وأن المنافقين أظهروا ما في أنفسهم من البغضاء والحقد فاشتد الامر بالمسلمين. ولكن الله أتم نعمته عليهم بان أوقع خلفا بين رؤساء المشركين ورؤساء اليهود فخاف بعضهم بعضا

وصادف ذلك أن أرسل الله ريحا باردة فى ليلة مظلمة فاشتد خوف المشركين وقر رأيهم على الرحيل وترك المدينة فرحلوا وقد امتن الله على المسلمين بهذه النعمة فى سورة الاحزاب

ولما تم رحيل العدو توجه عليه السلام باصحابه الى بنى قريظة الذين نقضوا عهدهم وخانوا المسلمين فى وقت الحرب فحاصرهم ولما سلموا حكم عليهم سعد بن معاذ بقتل رجالهم فقتلوا جزاء خيانتهم وبذلك خلت المدينة من اليهود وأمن المسلمون كيدهم

وفى السنة السادسة كانت عمرة الحديبية وذلك أن الرسول عليه السلام رأى فى منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين بذلك وانه يريد العمرة فخرج ومعه ألف وخمسمائة ومعه الهدى ليعلم انه جاء معتمرا لا محاربا فلما وصل عسفان علم أن قريشا لا تسلم بدخوله مكة فدارت المخابرة بين الفريقين وأخيرا تم الاتفاق على أن يرجع عليه السلام هذا العام ويعود من قابل فيعتمر وان توضع الحرب بين الفريقين أربع سنوات وان كل

من وصل الى المسلمين من قريش يردونه ولا يرد المشركون من وصل اليهم من المسلمين وكتبت معاهدة بين الطرفين بذلك ودخلت قبيلة خزاعة فى عهد رسول الله عليه السلام ودخلت قبيلة بكر فى عهد قريش

ثم عاد الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر وفى مدة هذه الهدنة كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام فمنهم من أجاب جوابا حسنا كالمقوقس ملك مصر والنجاشى ملك الحبشة وغيرهما ومنهم من أساء الرد ككسرى ملك الفرس

وفى السنة السابعة غزا عليه السلام حصون خيبر فى الشمال الشرقى من المدينة وقد كان أهلها من اليهود أعظم مهيج للأحزاب فى غزوة الخندق على حرب المسلمين ففتح حصونهم وأدخلها فى حوزة الاسلام ولكنه أبقاها بيد أهلها على النصف مما يخرج منها .

ولما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بالمسلمين حسب الشروط بينه وبين قريش فاعتمروا وعادوا

وفى جمادى الآخرة أرسل عليه السلام جيشا بقيادة زيد ابن حارثة الى مؤتة فلما وصل اليها وجدوا الروم قد جهزوا لهم جمعا عظيما من نصارى العرب والمسلمين فقامت الحرب بين الفريقين حتى قتل زيد ولما وجد المسلمون قلتهم امام عدوهم حاربوا متقهقرين حتى نجوا

الدرس الحادى عشر

وفي السنة الثامنة كان فتح مكة وذلك ان قريشا نقضت العهد بمساعدتها لبنى بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار بجيش من المسلمين عدته عشرة آلاف مجاهد حتى إذا قارب مكة رتب الجنود وأمر أحد قواده أن يدخل مكة من أعلى مكة ودخل هو من أسفلها في صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان بدون مقاومة تذكر حتى إذا وصل البيت طاف به سبعا واستلم الحجر بمحجنه وأنزل الأوثان التى كانت حول الكعبة وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بالآلهة

فأخرجت من البيت وبذلك طهر المسجد الحرام من هذه المعبودات الباطلة ثم جمع عليه السلام قريشا الذين آذوه وحاربوه وقال لهم ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء عفا عنهم جميعا بعد القدرة عليهم وهكذا تكون أخلاق الانبياء ومن تبعهم باحسان

وبعد أن تم الفتح علم عليه السلام أن قبائل من هوزان تجمعت لحربه فخرج اليهم بالجنود حتى وافاهم بحنين وكان بينهما قتال عظيم انهزم فيه المسلمون أولا ثم عادوا الى رسول الله ثانيا وهو واقف وسط المعمعة حتى نصرهم الله وهزم عدوهم

ثم سار الى الطائف وحاصره مدة ولكنه عاد عنه لان فتحه لم يؤذن فيه وعاد الى المدينة وفتح الطائف بعد ذلك صلحا

ولما رأى العرب دخول قريش فى الاسلام دخلت فيه أفواجا والى ذلك تشير سورة النصر « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »

وفى السنة التاسعة خرج رسول الله بجند المسلمين الى تبوك

لانه بلغه أن الروم هناك تجمع الجموع لغزوه ولما وصلوها لم يجدوا هناك أحداً فعادوا

وفى السنة العاشرة حج عليه السلام بالمسلمين حجة الوداع ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة فى جموع تبلغ تسعين الفا وفى هذه الحجة خطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع وصى فيها المسلمين ومنها: أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمن عليها أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس الا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فأنى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب

ثم عاد عليه السلام الى المدينة

وفى اواخر صفر جهز عليه السلام جيشا بقيادة اسامة بن زيد الى أُبنَى حيث قتل زيد بن حارثة للاغارة على من كانوا سببا فى ذلك ولكن لم يخرج هذا الجيش فى حياة رسول الله

فى اواخر صفر مرض عليه السلام وأمر ابا بكر ان يصلى بدله بالناس . وفى يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول (٨ يونيو سنة ٦٣٢) لحق عليه السلام بربه بعد ان بلغ الرسالة كما حمل فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية وثلاثة أيام و ٦١ سنة شمسية واربعة وثمانين يوما ودفن صبيحة يوم الاربعاء بعد ان فرغ المسلمون من اقامة خليفة لهم

الدرس الثانى عشر

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

اثنى الله على نبيه بقوله جل ذكره وانك لعلى خلق عظيم وكانت السيدة عائشة أم المؤمنين تقول كان خلقه القرآن . ووصفه الله بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم

كان عليه السلام مع ما آتاه الله من وفرة المال بعد الفتوح لا يستأثر بشئ منه ولا يمسك منه درهما بل يصرفه في مصارفه ويغنى به غيره حتى توفى ودرعه مرهونة

وكان حليما يحتمل ويعفو عند القدرة عملا بقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقوله (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) ولما فعل به المشركون ما فعلوا من الايذاء طلب منه أن يدعو عليهم فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وحسبك فى حلمه وعفوه ما فعله بمشركى قريش بعد الفتح

أما الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذى لا يجهل: قد حضر المواقف الصعبة وفرّ عنه الابطال والكماة غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله بأحد وحنين . قال على بن أبى طالب كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون

أحد أقرب الى العدو منه

وأما الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء واكثرهم عن الهفوات اغضاء وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس وكان اذا بلغه عن أحد ما يكره يقول ما بال أقوام يصنعون كذا أو يقولون كذا

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فما انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على كان عليه السلام اوسع الناس صدراً واصدقهم لهجة وألينهم عريكة وكان يؤلف الناس ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم. وكان يتفقد اصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحداً اكرم عليه منه. من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده فى الخلق سواء وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب ولا

فحاش ولا عياب قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال (ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ويكافئ عليها وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى فى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس ماالتقم احد أذن النبي يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة يكرم من دخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى ولا يقطع على أحد حديثه وكان اكثر الناس تبسما

وأما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها. روى ان اعرابيا طلب منه شيئا فاعطاه فقال الاعرابى ما أحسنت ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا فأشار اليهم الرسول ان كفوا

ثم زاد الاعرابي شيئا فقال الاعرابي احسنت فجزاك الله خيرا فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفارا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار . وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر

وأما خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فكان منها بالمحل الارفع روى أنه كان اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة . ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال أصحابه نحن نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم

وكان عليه السلام مع علو منصبه ورفعة رتبته اشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا . خرج مرة الى أصحابه وهو متوكئ

على عصا فقاموا فقال لاتقوموا كما تقوم الأعاجم

وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس . وأراد رجل أن يقبل يده فجذبها منه وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم

وكان عليه السلام أعدل الناس وأصدقهم لهجة وأكثرهم أمانة وكان يسمى بين قريش بالأمين وكان لايأخذ احدا بذنب أحد ولا يصدق احداً على أحد . وبالجملة فقد انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق اتباعا لما جاء به القرآن الكريم وقد قال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الاخلاق

الدرس الثالث عشر

معجزاته عليه السلام

معجزات الرسول التى أظهرها الله على يديه تصديقا له فيما يبلغه عن الله كثيرة وأظهرها شأنا وأوضحها بيانا هو القرآن الكريم وقد عجزت العرب عن محاكاته بعد ان تحداهم بقوله « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » فانظر كيف حتم عليهم العجز مع أن القرآن بلسانهم أنزل وقد كانوا فرسان الكلام وهو جل فخرهم

وإعجاز القرآن آت من أربعة أمور (الاول) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته الخارقة لعادة العرب (الثانى) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها (الثالث) ما انطوى عليه من الاخبار بالغيب مما لم يكن فوقع كما قال كقوله تعالى فى سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين) وقوله فى سورة الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) فكان ذلك جميعه الى غير ذلك من الآيات الكبرى

(الرابع) بما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة مع أنه عليه السلام لم يكن يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة وكان كثيراً ما يسأله أهل الكتاب عن الشيء لا يعلم به الا القليل منهم فيخبره الله به على الوجه الحق. ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله).

ومن معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته. قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى عليه السلام بوضوء فوضع الاناء في يده وأمر الناس أن يتوضؤا به قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم فقيل كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وروى مثل هذه الحادثة غير أنس من الصحابة

ومن ذلك تكثير الطعام ببركته . روى طلحة أنه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فامر بها عليه السلام ففتتت وقال فيها ماشاء الله أن يقول . وروى مثل ذلك جابر وغيره

ومنها ابراء المرضى وذوى العاهات فقد اصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجناته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدهما . وقد رمدت عين على فى غزوة خيبر فمسح عليها فزال رمدها . الى غير ذلك من الآثار التى رويت فى الصحاح

ومن ذلك مامن الله عليه به من اجابة دعواته وما أطلعه الله عليه من علم مالم يكن فقد وعد أصحابه بالظهور على أعدائهم وفتح بيت المقدس واليمن والشام والعراق فكان ذلك كله صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ووفقنا للاقتداء به فى أخلاقه الكريمة

الخلفاء الراشدون

الدرس الرابع عشر

خلافة أبي بكر

لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق اجتمع اصحابه من مهاجرين وانصار فى سقيفة بنى ساعدة لاقامة خليفة له وكان الانصار يريدون ان يكون الخليفة منهم فروى لهم أبو بكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « الائمة من قريش » فأذعنوا وتركوا المطالبة بالخلافة . وكان بنو هاشم يريدونها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولكن الاغلبية كانت لابى بكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى الصلاة وقت مرضه فقال المؤمنون رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا فبويع بها لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول من السنة الحادية عشرة من الهجرة . ولما انتهت بيعته صعد المنبر وقال بعد أن حمد الله واثنى عليه

ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت

فتابعونى وان صدقت فقوّمونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله

اعمال ابى بكر

أول عمل بدأ به أبو بكر تسيير جيش أسامة بن زيد الذى كان النبى عليه السلام جهزه الى ابنى وأوصاه قبل مسيره بهذه الوصية

لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له واذا لقيتم قوما فحصوا اوساطهم وسموهم

وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ماغمصوا عنه فاذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله . ياأسامة اصنع ماأمرك نبي الله ببلاد قضاعة ثم انت قافل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسار أسامة مع جيشه حتى انتهى لما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الجنود الى بلاد قضاعة واغار على ابنى فسبى وغنم ورجع الى المدينة ظافرا بعد ان غاب عنها اربعين يوما

اخبار الردة

اصيب الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة عظمى لولم تتداركها حكمة ابى بكر وشجاعته لضعف الدين وتشتت أمر المسلمين فان العرب مالبثت أن ارتدت بعد أن علمت بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد منهم متمسكا بدينه الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف وقليلا من غيرهم وكان المخالفون على قسمين فمنهم التارك للدين بالمرة ومنهم المعطل للزكاة وكان من رأى ابى بكر قتال مانعي الزكاة كما يقاتل

المرتدين لان تعطيل الزكاة طعن على الصلاة بل على جميع منازل الدين وكان عمر بن الخطاب يخالفه اولا فى الرأى ثم اقتنع بعد بأن رأى ابى بكر هو الصواب

فشمر ابو بكر عن ساعد الجد غير مبال بهذه الاهوال الجسام مع قلة جيشه وكثرة عدوه واثقا بوعد الله سبحانه فى قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) جند أحد عشر جيشا يقود هارجال من ابطال المسلمين الذين يبذلون أنفسهم فى نصرة دين الله فساروا انكالوهم عناية الله وكان النصر حليفهم فى كل واقعة لهم حتى أعادوا كل مرتد الى الدين وحتى بذل الزكاة من منعها فجمعت العرب على الاسلام وألف الله كلمتهم

﴿ أمر العراق ﴾

ولما تم له ذلك وجه همته لتعميم عدل الاسلام ومساواته بين الامم الاخرى التى كان ملوكها وأشرافها يرون فى أنفسهم أنهم أرقى درجة من عامتهم فتصوروهم عبيداً لهم ليس لهم فى أنفسهم شئ فساموهم الخسف وعاملوهم بالجور وكانت

الممالك المجاورة للاسلام اذ ذاك مملكة الفرس فى الشرق ومملكة الروم فى الشمال والغرب فابتدأ أبو بكر بأمر الفرس وانتدب خالد بن الوليد ليكون أول من يضع أساس الدين بالبلاد الفارسية وذلك فى بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ بالأُبلَّة وهى ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسى عند مصب دجلة وانتدب عياض بن غَنْم ليغزو الفرس من شمال العراق وأمره بأن يبدأ بالمضيح وهى قرية على نهر الفرات شمالى العراق

فسار خالد الى الأُبلة فافتتحها ولم يزل سائراً من الجنوب الى الشمال يفتح البلاد التى بقرب الفرات حتى وصل الى الفِراض وهى على التخوم بين العراق والشام وعند ذلك صرف أبو بكر خالداً الى الشام مددا لجند الشام فاستخلف خالد على جند العراق المثنى بن حارثة الشيبانى وجعل مركزه بالحيرة وبذلك تقلص ملك الفرس عن الجزء الغربى من نهر الفرات وهو ما يعبر عنه بريف العراق

أمر الروم

بعد أن جهز أبو بكر خالد بن الوليد الى العراق جهز خالد بن سعيد بن العاص ووجهه الى مشارف الشام فسار اليها وهناك قابلته جيوش الشام الكثيرة فاستمد أبا بكر وحينذاك جهز أربعة جيوش يقودها أربعة من أبطال المسلمين فاجتمعت هذه الجنود باليرموك وهو واد فى الجنوب الشرقى من الشام وهناك قابلتهم جنود الروم فاستمد المسلمون أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد وهو بالعراق بأمره بان يسير مدداً للجنود الاسلامية باليرموك فقدمها وسلمه القواد الاربعة الامرة عليهم فرتب الجيوش وصدم بها جنود الروم صدمة قوية هزمتهم شر هزيمة وفى أثنائها جاء بريد المدينة بوفاة أبى بكر رضى الله عنه

وفاة الصديق

اسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣ حم أبو بكر رضى الله عنه ولما اشتد عليه المرض عهد بالخلافة الى عمر رضى الله عنه وهذا كتاب عهده

بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهـده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً فان صبر وعدل فذلك علمى به وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

ثم توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣

الدرس الخامس عشر

خلافة عمر بن الخطاب

بويع بالخلافة صبيحه اليوم الذى توفى فيه أبو بكر ولما بويع صعد المنبر وقال (انما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده اين يقوده أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق

أمر العراق فى عهد عمر

لما توفى أبو بكر ولى عمر قيادة جيش العراق لأبى عبيد

ابن مسعود الثقفى فكانت بينه وبين الفرس وقائع حتى قتل رحمه الله ولما بلغ ذلك عمر وان الفرس قووا جنودهم لاخراج المسلمين من بلادهم قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب واستنفر الرؤساء من العرب فنفروا بقبائلهم حتى تكون منهم جيش ضخم واختار لقيادته سعد بن أبى وقاص فسار سعد حتى أتى القادسية وهى بقرب الكوفة ومن هناك أرسل جماعة من الكبار لدعوة الفرس الى الدخول فى الاسلام أو الرضا بحكمه مع دفع الجزية فلم تجد هذه الدعوة وجند ملكهم جنداً عظيما قدره مائة الف بقيادة أكبر قواده رستم فجاء هذا الجيش حتى وقف ازاء المسلمين بالقادسية وهناك كان بين الفريقين اعظم موقعة استمر القتال فيها ثلاثة أيام بلياليها وفى النهاية كان النصر للمسلمين وانهزم الفرس هزيمة منكرة. وبعد ذلك سار سعد يفتح ما فى طريقه من البلاد حتى وصل المدائن وهى قاعدة ملك الفرس على شاطئ دجلة ففتحها ونزل قصر كسرى وجعلها قاعدة له

وكان من رأى عمر رضى الله عنه أن قاعدة المسلمين

لا ينبغي ان يفصلها عنه بحر فامر سعداً باختيار مكان على الشاطئ الغربي للفرات فاختير موضع الكوفة وحينذاك اسست هذه المدينة سنة ١٧ هجرية ثم أسست بعدها مدينة البصرة وبعد ذلك أرسل سعد السرايا لفتح بلاد الفرس الداخلية فسارت تفتح البلاد والاقاليم . ولم يتم فتح بلاد الفرس على يدى سعد لان عمر رضي الله عنه عزله وولى النعمان بن مقرّن ولم يمض زمن عمر حتى كان ما فتحه المسلمون من بلاد الفرس وما يجاورها يحد غربا بالفرات وينتهي شرقا الى بلاد السند وما وراء النهر ويحد جنوبا بالخليج الفارسي وتنتهي شمالا الى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس . اجتمع المسلمون مع الفرس في كثير من الوقائع لم تنكس لهم راية ولم يفل لهم جيش مع قلتهم وكثرة عدوهم وكان خصومهم اعلم بتعبئة الجيوش منهم فلم إذاً هذه الانتصارات الباهرة؟ انها نتيجة اتحادهم وائتلاف قلوبهم حتى صاروا أجساما متعددة لهم قلب واحد ورأي واحد وهو تعميم عدل الاسلام في مشارق الارض ومغاربها

﴿ أسر الروم ﴾

توفى أبو بكر والمسلمون فائزون فى وقعة اليرموك فجاء عمر وولى على الجند أبا عبيدة عامر بن الجراح بدل خالد بن الوليد ولم يمنع ذلك خالداً أن يسير مجاهدا تحت امرة أبى عبيدة لانهم قوم لم يكن مقصدهم الرياسة والاسم

فسار أبو عبيدة الى دمشق وحاصرها حتى فتحها ثم فتح حمص صلحا ثم المعرة ثم اللاذقية ولما رأى ملك الروم الجد من المسلمين ترك الشام وسار الى القسطنطينية آيسا من النجاح ولم يزل المسلمون يفتحون البلدان الشامية حتى صار معظمها فى حوزتهم

وسار عمرو بن العاص لحصار بيت المقدس ولما رأى اهله انهم لا قبل لهم بالمقاومة طلبوا الصلح على شرط ان يكون المتولى لعقده أمير المؤمنين فكتب عمرو اليه بذلك فخرج عمر من المدينة حتى أتى بيت المقدس وصالح اهله وكتب لهم أمانا على أنفسهم واموالهم وكنائسهم ولما دخل عمر كنيسة القيامة وجلس فى صحنها حان وقت الصلاة فقال للبترك اريد

الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة منفردا ولما قضى صلاته قال للبترك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدُ وقالوا هنا صلى عمر . ثم ولى رضى الله عنه الولاة على الشام بعد ان قسمها ولايات وعاد الى المدينة . وفى عهد عمر فتحت مصر (انظر الدرس الرابع والثلاثين)

وبفتح مصر انتهى مافعله المسلمون مع الروم فى مدة عمر الذى كان عصره أحسن العصور الاسلامية لما كان عليه من العدل والرأفة برعيته والتفقد لاحوالهم وعمر هو أول من اتخذ بيتا للمال وكان ايراده من زكاة المسلمين وجزية أهل الذمة ومواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين وكانت تصرف على مستحقيها بتمام العدل وكان لا يأخذ منه لنفسه الا مايصلحه هو وعياله بالمعروف . وفى عهده أحدث المسلمون التاريخ وجعلوه من بدء الهجرة لانها تاريخ عز الاسلام ولكنهم قدموا ميعادها الى أول المحرم ليكون التاريخ من أول السنة العربية

﴿ مقتل عمر ﴾

لم يصب المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة اعظم من مقتل عمر جنى عليه غلام مجوسى اسمه أبو لؤلؤة كان للمغيرة بن شعبة وهو قائم يصلى

ولما علم الصحابة ان الضربة قاضية قالوا له أوص يا أمير المؤمنين فقال اتحمل أمركم حيا وميتا لوددت أنى احظى منها الكفاف لا على ولا لى وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى وان اتركك فقد تركك من هو خير منى ثم قال ما أجد أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وسعدا وطلحة وعبد الرحمن بن عوف ثم توفى رضى الله عنه سنة ٢٤

الدرس السادس عشر

﴿ خلافة عثمان ﴾

اجتمع رجال الشورى وهم الستة الذين نص عليهم عمر وصيته لاختيار أمير المؤمنين فكانت اغلبية الاصوات لعثما

ن

ابن عفان رضى الله عنه فبويع بالخلافة مفتتح سنة ٢٤(١)

كان سن عثمان حينما بويع فوق السبعين وكان يغلب عليه الحياء والرقة والرأفة فجاء بعد عمر وهو الشديد القلب الذى جرد سيف العدل على كل من حاد عن الصراط السوى فكانت أخلاق عثمان سببا لقيام فتنة فى الامصار بواسطة رجال لاهم لهم الا تفريق كلمة المسلمين وكان مركز الفتن بالبصرة والكوفة ومصر وجعلوا محورها فضل علىّ على عثمان وان عليا هو الاحق بالخلافة من غيره وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى اليه بها ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أرادوا البدء بالشر طعنوا على ولاته وذموهم بكل مايمكنهم وذهبت وفود منهم الى المدينة يطالبون فى الظاهر عزل هؤلاء الولاة وفى الباطن يريدون التخلص من عثمان . وبعد مفاوضات لم تات بنتيجة استولوا على المدينة وحصروا عثمان فى داره ثم قتلوه ظلما وعدوانا فى الشهر الحرام

(١) تنبيه — ذكر فى الصفحة السابقة أن وفاة عمر كانت سنة ٢٤ والصواب انها فى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣

والبلد الحرام لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ وهذا هو التاريخ المشؤم الذى كان فيه فتح باب الشر والشقاق بين المسلمين وكان عمره ٨٢ سنة

ولم يكن فى مدته رضى الله عنه كثير من الفتوح الا فى السنين الست الاولى من حكمه فقد فتح شمال افريقية وجهة دنقلة فى عهد عبدالله بن سعد بن أبى سرح والى مصر وفتحت بعض جهات فى بلاد الفرس التى كانت قد عصت أما فى المدة الأخيرة له فكانت الفتن . وهى متى حلت بامة أقعدتها عن كل عمل صالح

خلافة على

بعد أن قتل عثمان بايع أكثر أهل المدينة على بن أبى طالب وقد امتنع من بيعته بعض الصحابة ولكنه رضى الله عنه رأى أن بيعته قد تمت برضا معظم أهل المدينة فصعد المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أيها الناس ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر

الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة
ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم
كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من
سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ
مسلم الا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم . الموت
فان الناس أمامكم وانما خلفكم الساعة تحدوكم خففوا تلحقوا فانما
ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده
انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله ولا تعصوه
واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا
اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض) ثم نزل

وفى أول امارته عزل جميع ولاة عثمان وولى غيرهم ولكن
الامة فى الامصار لم تكن متفقة على خلافة على فان بعضها
كان لا يريده لعدم قيامه بنصر عثمان على من ثاروا عليه وقد
امتنع معاوية من الدخول فى بيعته وأعلن ذلك فصمم على على
حربه وبينما هو يستعد لذلك اذ بلغه خبر خروج أم المؤمنين
عائشة ومعها الزبير وطلحة وكلهم ناقمون على قتلة عثمان

ويريدون المطالبة بدمه ولما علم على بذلك رأى أن يبدأ بأرجاع هؤلاء ثم يستعد لمعاوية فسار من المدينة مارا بالكوفة حتى أتى البصرة وبها جند عظيم مع الزبير وطلحة فجرت بين الفريقين مخابرات فى الصلح وقد كادتم لولا أن فريقا ممن يريدون بقاء الفتنة وهم الذين ثاروا على عثمان بدءوا بالقتال من غير ارادة على وخصومه فاستمرت الحرب بين الفريقين وكانت حربا شديدة انتهت بانتصار على ولما تم له الامر أرسل أم المؤمنين الى المدينة وعاد الى الكوفة التى جعلها مقر خلافته ثم سار منها بجيوشه لمحاربة معاوية وأهل الشام ولما علم بذلك معاوية سار اليه أيضا فى جنوده والتقى الجيشان بسهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب وقد كان بين الفريقين مراسلة لم تنته بخير فلم يبق بد من الحرب فالتحم هذان الجيشان فى جملة مواقع وكانت الموقعة العظمى بينهم فى ١٠ صفر سنة ٣٧ وقد كادت الدائرة تدور على جند الشام ولما رأوا ذلك رفعوا مصاحفهم ونادوا أهل العراق انا ندعوكم الى كتاب الله وهو بيننا وبينكم من

لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور العراق بعد أهل العراق ولما رأى ذلك أصحاب على وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا ففريق يقول نجيب الى كتاب الله وفريق يقول هذه خدعة ولكن طلاب الاجابة الى كتاب الله كانوا أكثر فاضطر على الى موافقتهم واتفق الطرفان على تحكيم رجلين واحد من أهل العراق وهو أبو موسى الاشعرى وواحد من قبل أهل الشام وهو عمرو بن العاص يجتمعان بدومة الجندل فى رمضان ثم عاد كل من على ومعاوية بجنده الى مقره الاول الى الكوفة والثانى الى دمشق . ولما حان الاجل اجتمع الحكمان وجرت بينهما مكالمة فى أمر اجتماعهما وأخيراً اتفقا على خلع على ومعاوية ولكنهما لم يتفقا على من يوليانه وافترقا على ذلك من غير أن يفيدا المسلمين شيئا ولما بلغ عليا هذا الحكم لم يرض به وبقدر ما كان التحكيم مفيداً لمعاوية كان مضراً بعلى لان جماعة من جنده عابوا التحكيم وخرجوا عليه محاربين له وهم الذين يسمون بالخوارج فاشتغل على بحربهم وفى ذلك الوقت كان معاوية يجد فى أخذ البلاد المبايعة لعلى فأخذ مصر والحرمين

واليمن وعلى مشغول عنه بالخوارج

وفى السنة الاربعين من الهجرة ائتمر ثلاثة من الخوارج على أن يقتلوا عليا ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا أن يكون ذلك فى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان فاما عبد الرحمن بن ملجم الذى كان من نصيبه قتل على فذهب اليه وهو خارج الى الصلاة فضربه على جبهته بسيف مسموم فاصابه اصابة خطرة كانت منها وفاته وأما الذى ذهب لقتل عمرو ابن العاص فانه ذهب الى مصر وانتظر خروجه فى الليلة المتفق عليها فلم يخرج لمرض به وخرج نائبه فقتله الخارجى ظنا أنه عمرو . وأما الذى ذهب لمعاوية فانه ضربه ضربة لم تقتله.

ولما قتل على رضى الله عنه مال جنده الى بيعة ابنه الحسن بن على فبايعوه وطلبوا منه التجهز لحرب معاوية ولكن رأى أن الاليق بالمسلمين أن يطفئوا شعلة النار التى بينهم ويتركوا القتال فراسل معاوية فى طلب الصلح واشترط لذلك شروطا فارسل اليه معاوية بصك مختوم ليس به كتابة

ليكتب الحسن فيه ماشاء من الشروط فاشترط شروطا أهمها تأمين جيشه وشيعة على كلهم فرضى معاوية وبذلك تنازل الحسن وانحسمت هذه الفتن وبويع معاوية بالخلافة بيعة صحيحية

الدرس السابع عشر

﴿ الدولة الاموية ﴾

تنسب هذه الدولة الى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو الاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

وتبتدئ من اليوم الذى سلم فيه الحسن بن على بن أبى طالب الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية فى ربيع الآخر سنة ٤١ من الهجرة النبوية

وقد تولى الخلافة منهم ثلاثة عشر خليفة من اسرتين. (١) الاسرة السفيانية وعدد خلفائها ثلاثة . (٢) — المروانية وعدد خلفائها عشرة وهذه سلسلتهم

حرب—ابوسفيان ١ معاوية الاول—٢ يزيد الاول—٣ معاوية الثانى
(٤١—٦٠) (٦٠—٦٤) (٦٤)

اميـة

عبد العزيز — ٨ عمر
(٩٩ — ١٠١)

ابو العاص—الحكم—٤ مروان الاول — ٥ عبد الملك —
(٦٤—٦٥) (٦٥—٨٦)

محمد—١٣ مروان الثانى
(١٢٦—١٣٢)

٦ الوليد الاول — ١٢ يزيد الثالث
(٨٦—٩٦) (١٢٦)

٧ سليمان
(٩٦—٩٩)

— ٥ عبد الملك

٩ يزيد الثانى — ١١ الوليد الثانى
(١٠١—١٠٥) (١٢٥—١٢٦)

١٠ هشام
(١٠٥—١٢٥)

obeikandl.com

واستمرت دولتهم الى أواخر ذي الحجة سنة ١٣٢ حيث انتهت بقتل مروان بن محمد ثالث عشرهم على يد بنى العباس

استلمت هذه الدولة البلاد الاسلامية فى آسيا وأفريقية وحدودها كما يأتى

تحد شمالا ببلاد التركستان وبحر قزوين وخط يمر بتركية آسيا ماراً بأواسط أرمينية وينتهى الى شاطئ البحر الابيض المتوسط بالقرب من أنطاكية وبالبحر الابيض المتوسط . وتحد غربا بالبحر الابيض المتوسط وبلاد المغرب وصحراء أفريقية الكبرى والبحر الاحمر . وتحد جنوبا ببلاد السودان والمحيط الهندى . وتحد شرقا ببلاد السند (البلوجستان) وبلاد التركستان

﴿ معاوية الاول ﴾

تولى معاوية الخلافة والامة مفترقة القلوب متشعبة الاهواء فجمع قلوبها بما آتاه الله من الحكمة وكرم الاخلاق فكان حليما لا يكاد أحد يغضبه كريما لا يبالى بما أنفق فى سبيل تقريب الانفس اليه حتى قال عنه عبد الله بن عباس

مارأيت اخلق للملك من معاوية

واستعان بكبار الرجال في ادارة الولايات كزياد بن أبي سفيان أمير العراقين وعمرو بن العاص أمير مصر وغيرهما فأمنوا السبل وأخافوا اهل الشر . وكان له أسطول قوي في البحر الابيض المتوسط لاخافة الروم . وفي عهده فتحت جزيرة رودس وشمال أفريقية (تونس والجزائر) وأرسل جيشا لفتح القسطنطينية يقوده ابنه يزيد فحاصرها مدة ولكنه لم يفتحها

وتوفي رحمه الله سنة ٦٠ من الهجرة بعد أن عهد لابنه يزيد

﴿ يزيد الاول ﴾

بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه

وفي عهده اضطرب حبل الوفاق بين الامة . فقد حصلت ثلاث حوادث عظام جعلت اسمه ممقوتا الى الآن

﴿ الحادثة الاولى ﴾

(قتل الحسين)

لما بويع يزيد امتنع الحسين من بيعته . وعلى أثر ذلك

جاءته كتب من أهل العراق يدعونه الى الرحلة اليهم ليبايعوه ويخلعوا يزيد . فاغتر رحمه الله بهذه الكتب وسافر اليهم بأهله وعياله من غير أن يعد للامر عدته . ولما وصل كربلاء قابله جيش عراقي أرسله اليه أمير العراق عبيد الله بن زياد فدعوه للتسليم فلم يقبل فقاتلوه فقتل رحمه الله

﴿ الحادثة الثانية ﴾

(وقعة الحرة)

بعد سنتين من بيعة يزيد قام رجال من أهل المدينة يدعون أهلها لخلع يزيد ومبايعة واحد منهم من غير أن يزنوا بين قوتهم وقوة خصمهم . فأرسل اليهم يزيد جيشا تحت امرة مسلم بن عقبة المري فجاءهم وحاصرهم ثم خرجوا اليه فقاتلهم قتالا شديداً قتل فيه معظم رجالهم . وبعد هزيمة من انهزم منهم أباح المدينة ثلاثة أيام . وهذه أول مرة أهينت فيها المدينة وهي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتبعة ذلك على أهلها الذين قاموا في هذا الامر طائشين مغرورين بعددهم القليل وعدتهم الضعيفة

﴿ الحادثة الثالثة ﴾

(حصار الكعبة)

كان عبد الله بن الزبير قد امتنع عن بيعة يزيد واحتمى بالحرم المكى . فأمر يزيد مسلم بن عقبة أن يسير اليه بعد وقعة الحرة . فسار اليه وحاصره ولكن يزيد مات فى اثناء هذا الحصار فرجع الجيش الى الشام ولم يحدث شيئا

فقد رأيت ان مخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة سنة العقل تدعو الى الفشل وتفريق الشمل . فمن سنة رسول الله صل الله عليه وسلم ان الأمير إذا خالف أحكام الشرع نصح بالمعروف فاذا لم يعتدل ولج فى غيه وتحتم الخروج عليه وخلعه لم يكن ذلك الا بعد تكوين قوة يمكنها مناوأته . أما التغرير بالنفس وبجماعة المسلمين فقلما ينتج خيراً

﴿ معاوية الثانى ﴾

لما توفى يزيد سنة ٦٤ بايع كبار الدولة ابنه معاوية ولكنه رأى نفسه غير قادر على القيام بأمر الامة تماما فاستقال .

والعاقل من لا يزجّ بنفسه فى مضيق لا يقدر على الخروج منه

الدرس الثامن عشر

الاسرة المروانية

بعد استقاله معاوية الثانى نوى أمر عبد الله بن الزبير وكادت الخلافة العامة تتم له لولا أن قام مروان بن الحكم مطالبا بها . وكان لبنى أمية أنصار شدوا أزره فحارب أنصار ابن الزبير فى مرج راهط وغلبهم فاستولى على بلاد الشام ثم دخلت مصر فى حوزته . وقد عاجله الموت فلم يتم له ما أمل .

عبد الملك

وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك وهو حازم يقظ ذو عزيمة ثابتة جعل جل همه كسر شوكة ابن الزبير الذى بويع له بالخلافة فى الحجاز والعراق وما بينهما . فذهب بنفسه وحارب مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبد الله فقهره وقتله وبذلك دان له العراق وأهله . ثم أرسل من قبله الحجاج

ابن يوسف الثقفى أميرا على الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير . فذهب اليه وحاصره بمكة ورماها بالمجانيق . ولم يزل الحصار مستمراً حتى خرج ابن الزبير بعد نفاد الاقوات فحارب مستقتلا حتى قتل رحمه الله . وبقتله دانت جميع البلاد الاسلامية لعبد الملك بن مروان بعد هذه الفتن الطويلة التى جعلت عبد الملك يرضى أن يهادن ملك الروم على جعل يؤديه عبد الملك ولو لم يكن المسلمون مشغولين بانفسهم ماوهنوا هذا الوهن

وفى عهد عبد الملك وسعت الحدود الاسلامية من الجهة الشرقية فى السند والتركستان

وفى عهده أيضا بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط .

وتوفى عبد الملك منتصف شوال سنة ٨٦

﴿ الوليد الاول ﴾

فخلفه ابنه الوليد بن عبد الملك . والمسلمون متفقة كلمتهم فكانت كل قوتهم على عدوهم

وكان هذا الهدوء سببا لكثير من الفتح الخارجى والاصلاح الداخلى . فمن جهة الشرق فتحت بخارى وسمرقند بواسطة

القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي وفتحت السند بواسطة محمد بن القاسم بن محمد الثقفي . ومن جهة الشمال فتح كثير من حصون الروم وفتح القائد موسى بن نصير بلاد الاندلس (انظر الدرس الرابع)

وأما الاصلاح الداخلي فان الوليد أمر عمر بن عبد العزيز أمير المدينة من قبله بعمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوسعه حتى صار مائتي ذراع في مثلها وأدخل فيه حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعد ملك الروم على هذه العمارة بألف مثقال ذهبا وأربعين جملا محملة من الفسيفساء وأرسل مائة عامل من قبله

وأمر الوليد باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذومين من الخروج على الناس وأجرى لهم الارزاق

وعلى الجملة فكان زمن الوليد من أحسن ازمان بني أمية . كثر فيه العاملون لمصلحة الامة لانهم ارتاحوا من الفتن الداخلية والشقاق المزري بالامم . وتوفي الوليد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦

﴿ سليمان ﴾

فخلفه أخوه سليمان بن عبد الملك . وفى أول عهده قتل القائد العظيم قتيبة بن مسلم أثر فتنة قام بها قاصداً خلع سليمان لانه رآه منصرفا عنه الى خصمه يزيد بن المهلب ومريداً توليته بدله . ولما علم رؤساء الجند الذين مع قتيبة أنه يريد خلع الخليفة عاجلوه فقتلوه . وما دام الملوك يقدمون الهوي على مصلحة الرعية فانهم بذلك يوقعون العداوات بين الرؤساء والقواد وفى ذلك ضرر عظيم عليهم وعلى امتهم لو اعتبروا . ومما عيب على سليمان سخطه على القائد موسى بن نصير فاتح الاندلس وتغريمه قدراً عظيما من المال حتى صار يمر على الناس يستجديهم مع ما قام به من العمل العظيم . وفى عهده حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية المرة الثانية . وتوفى سليمان سنة ٩٩

﴿ عمر ﴾

فخلفه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن مروان وكان برعيته رؤفا رحيما فهدأت الامة واشتغلت بعلمها ودينها

وقد امتاز عصره بما كان فيه من جمع الاحاديث النبوية وكانت قبل ذلك لا تتجاوز صدور حفاظها . فأمر الامام المحدث الشهير محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي فجمع ما أمكنه جمعه منها . وفي عهده كثر الفقهاء والمحدثون ولو دام عهده طويلا لانتفع به المسلمون كثيراً ولكنه توفي في رجب سنة ١٠١ للهجرة

﴿ يزيد الثاني ﴾

فقام بعده يزيد بن عبد الملك ولم يكن في محبة الاصلاح كعمر . فعمد الى كل شيء صنعه عمر مما يخالف هواه فرده . وخرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة فجهز اليه الجيوش تحت امرة مسلمة بن عبد الملك وكانت بين الفريقين حرب تطيش لها الالباب وانتهت بقتل يزيد بن المهلب ولم يخف الله يزيد ابن عبد الملك فقتل الاسرى من أقارب ابن المهلب وأولاده . وفي عهده فتح الجراح بن عبد الله الحكمي كثيراً من بلاد الخزر وكان والياً لأرمينية

وفي أواخر شعبان سنة ١٠٥ توفي يزيد بن عبد الملك

فخلفه اخوه هشام

الدرس التاسع عشر

(هشام)

كان هشام من أعقل بنى أمية . قال فى حقه عبد الله بن على العباسى جمعت دواوين بنى أمية فلم أر ديوانا اصح ولا أصلح للعامة من ديوان هشام . وتفقد بعض ولده فلم يحضر صلاة الجمعة فقال له ما منعك الصلاة . قال نفقت دابتى . قال أفعجزت عن المشى . فمنعه الدابة سنة . ومما يصلح أن يكون عبرة من حوادثه أنه شتم مرة رجلا من الاشراف فقال له الرجل اما تستحى أن تشتمنى وأنت خليفة الله فى الارض . فاستحيا منه وقال اقتص منى . قال اذاً أنا سفيه مثلك . قال فخذ منى عوضا من المال . قال ما كنت لأفعل . قال فهبها لله . قال هى لله ثم لك . فنكس هشام رأسه واستحيا وقال والله لا أعود لمثلها أبدا . وكانت جيوش الشرق فى عهده تغزو الترك المجاورين لهم وتنتصر عليهم وقد قتلوا ملكهم خاقان وشردوهم أعظم شريد . وفى عهده خرج زيد بن على بن الحسين بالكوفة فقتل

وفى عهده نظمت الجمعيات السرية للدعوة الى بنى العباس وازالة دولة بنى أمية . ورئيس الدعاة أبو مسلم الخراسانى . والامام الذى يدعون اليه ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس . وتوفى هشام فى أواخر ربيع الآخر سنة ١٢٥

(الوليد الثانى)

خلفه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان يتهم ببعض اللهو الذى يحرمه الدين من شرب الخمر والخلاعة والمجون . فلم يره الناس أهلا للخلافة فثاروا عليه وقتلوه في جمادى الآخرة سنة ١٢٦

(يزيد الثالث)

وخلفه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ولم تطل مدته الا ستة أشهر فانه توفى فى ذى الحجة سنة ١٢٦ وفى عهده اضطرب حبل الوفاق بين أهل خراسان وهم من قبائل مختلفة فصار كل منهم يتعصب لقبيلته . وقد أوجد ذلك الشقاق فرصة عظيمة لابى مسلم صاحب الدعوة العباسية فانه صار يشعل بينهم نار العداوة ويميل لأحدهم حتى يضعف الآخر

فقوى بذلك مركزه وتزعزع أمر بنى أمية

(مروان الثانى)

ولما توفى يزيد اراد بعض ذوى الامر تولية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ولكن مروان بن محمد بن مروان والى ارمينية لم يرضه ذلك فجاء الى الشام وقاتل دون الخلافة حتى أخذها لنفسه على غير رضا من بنى أمية أنفسهم . وبذلك صارت الفرقة بين الاسرة المالكة فانشق عن مروان سليمان بن هشام بن عبد الملك مع أخوته ومواليه . فاضطر مروان أن يحاربه هو ومن معه فاجتمعا قرب قنسرين وكانت بينهما وقعة هائلة انهزم فيها سليمان وقتل من نصرائه نحو ثلاثين الفا . كان ذلك كله وما بخراسان من انقياد أهلها لابى مسلم الخراسانى ودخول الكوفة فى الدعوة العباسية سببا لاحضار أبى العباس عبد الله بن محمد ابن على بن عبدالله بن عباس الى الكوفة وبيعته بها خليفة على المسلمين . ولما تمت بيعته أرسل جيشا بقيادة عمه عبد الله ابن على للاجهاز على ما بقى من قوة مروان فسار اليه ولاقاه

بالزاب وهو أحد فروع دجلة . فانهزم مروان هزيمة منكرة ولم يزل منهزما يتنقل من بلد الى بلد والجيوش العباسية تتبعه حتى وصل قرية بوصير احدى قرى مصر الوسطى وهناك لاقته منيته وبه كان ختام الدولة الاموية في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٢ . فكانت مدتهم تسعين سنة ونحو ثمانية أشهر

وتمتاز هذه الدولة بأنها كانت عربية محضة لم يكن لغير العنصر العربي فيها حول ولا سلطان . وفي عهدها اتسعت حدود المملكة الاسلامية من جهة الشرق والغرب والشمال فاضافت الى أملاكها بلاد السند وجزءاً عظيما من بلاد التركستان حتى مدينة كاشغر على حدود الصين . ومن جهة الشمال أخذوا كثيراً من حصون الروم ومعاقلهم فكانت شواتيهم وصوائفهم لا تمل (الشواتي الجنود التي تحافظ على الحدود وتغزو العدو في الشتاء والصوائف في الصيف) . وكان لهم أسطول قوي في البحر الابيض المتوسط جعل دولة الروم تهابهم وتحذر جانبهم . وفي عهدها اشتغل الناس كثيراً بالعلوم الدينية والادبية واللغوية فدون فيها أول ما كتب في الحديث والفقه

لان الفقه فى ذلك الزمن كان دائما يمزج بالكتب ولا يكتب وحده . وكان لعلماء العربية وشعرائها فى هذه الدولة حظ عظيم .

ومما يعاب عليها ان خلفاءها هم الذين رأوا الامة أقل من أن تشاورهم فى أمر وتقدم لهم نصيحة من النصائح . وكان فى عهدهم كثير من أمراء الجور كالحجاج بن يوسف وغيره ولذلك لم يعظم اسم هذه الدولة فى انظار العامة من المسلمين مع ما لها من الآثار الحسنة فى توسيع البلاد

الدرس العشرون

الاندلس

بلاد الاندلس هى قطعة من أوربا فى الجنوب يفصلها عن أفريقية بوغاز جبل طارق وعن فرنسا فى الشمال سلسلة جبال البرانس فتحها المسلمون فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ والوالى على أفريقية الامير موسى بن نصير

خطر ببال موسى أن يجيز البحر ويفتح هذا القطر العظيم فكاتب الوليد فى ذلك واتفقا على أن يرسل اليها